مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية

خطوات على طريق المشروع الحضاري الإسلامي

بقلم

د. زينب بيره جكلي
د. عماد زكي
د. محمد عبد الفتاح الخطيب
د. قطب عبد الحميد قطب
د. محمد مؤنس عوض
أ. محمد خالد
د. عثمان عمر المحمد
د. سعاد سيد محجوب
د. ملاك أحمد سلامة

سلسلة الكتاب السنوي

١

آليات تفعيل دور المرأة المسلمة في إصلاح المجتمع

الدكتورة سعاد سيد محجوب
كلية الدراسات الإسلامية والعربية/ دبي

بين يدي الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على قضية تهميش المرأة المسلمة في بعض المجتمعات، ما يتسبب في هدر طاقات المرأة وتأخير عملية التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، الأمر الذي يعكس حالات بعض الغبن الذي يشكل الطابع العام لأغلب النساء.

لعله من نافلة القول أن نشير إلى أن تعريف المجتمع السوي يتمثل في رجاله ونسائه معاً، وحينما يتكاتف الاثنان يحصل هذا المجتمع على المنفعة الكاملة. وصدق الشاعر: ــ

النمل تبني قراها من تماسكها * والنحل تجني رحيق الشهد أعوانا**

وسوف تناقش المحاور التالية الآليات التي تؤهل المرأة المسلمة وتمكنها من القيام بدورها الطليعي تجاه أسرتها، و مجتمعها بل تمكنها أيضاً من مواجهة التحديات الداخلية التي تحد من طموحها وتطلعاتها، وبذا يتخلص المجتمع من العديد من الأوبئة الاجتماعية، ويتعافى كذلك من الأمراض الاجتماعية التي تشكل حجر عثرة أمام تقدمه وازدهاره.

المحور الأول

الاستثمار الأمثل للثروة البشرية في الإسلام

لا يتم الاستثمار الأمثل للثروة إلا بالعمل؛ إذاً العمل من الركائز الأساسية والمحورية التي تمكن الإنسان من كسب عيشه؛ وبالتالي يستطيع أن يحقق بقية مكاسب الحياة أو تطلعاته في هذه الحياة، فضلاً عن ذلك يتفرع عن العمل بعض الإيجابيات على النطاق الاجتماعي والنطاق النفسي؛ وبما أن مهمة الإنسان في هذه الحياة هي إعمار الأرض،، فإن ذلك لن يتحقق بأي حال من الأحوال دون العمل، إذاً إعمار الأرض يشكل الغاية العليا في الشريعة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (البقرة: ٣٠).

لقد خاطب الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي أعلمهم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضاً. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ١٦٥) أي أراد الله تعالى التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل وقوعه.

وذكر ابن القيم في إعلام الموقعين هذا المعنى المجمل بقوله: « الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل... وكل خير

في الوجود فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها...».

وكما يرى ابن عاشور أن المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة مع استمرارية صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو الإنسان. وتضم خارطة هذا الصلاح العقل والعمل، فضلاً عما فيها من معطيات هذا الكون، وإذا اتحدت كل هذه العناصر تحققت الغاية من استخلاف الإنسان في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)؛ لذا حث الدين الإسلامي على العمل، بل دعا إلى احترامه. ولقد حبا الله تعالى الإنسان بطاقة هائلة وقدرات لا حدود لها؛ حتى ترسى سفينته على جودي الأمان، لذا ربط الإسلام بين العبادة والعمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى، لجلب المنفعة أو لدرء مفسدة. والعمل قيمة ينبغي الحرص عليها؛ فالأخذ بها يؤدي إلى التقدم والارتقاء، والتخلي عنها يؤدي إلى التخلف والجمود والموت.

وما يؤكد هذا القول أن الأنبياء، عليهم السلام أجمعين، قد عرفوا قيمة العمل: فآدم عليه السلام احترف الزراعة، ونوح النجارة، وداود الحدادة، وموسى الكتابة، كان يكتب التوراة بيده، وكل منهم قد رعى الغنم، وكان زكريا عليه السلام نجاراً»[1].

«وإدريس كان خياطاً، وسليمان كان يصنع المكاتل من الخوص، وعيسى يأكل من غزل أمه الصديقة[2] كما يعمل عليه السلام في حداثته صباغاً[3]، ومحمد ﷺ بدأ حياته عاملاً، ففي صباه رعى الغنم لأهل مكة مقابل قراريط، وفي

(١) عن ابن عباس، وانظر المناوي: فيض القدير بشرح الجامع الصغير للسيوطي (٤/٤٤٥-٥٤٥)، والنووي: رياض الصالحين ص: (٨٤٢).
(٢) انظر محمد بن الحسن الشيباني: الاكتساب في الرزق المستطاب ص: (٥١-٨١)
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١/٣٢١).

شبابه عمل في التجارة لحساب غيره، وأصحابه رضي الله عنهم، عمال مثل: خباب بن الأرت الحداد[1] وعبد الله بن مسعود الراعي، وسعد بن أبي وقاص صانع النبال، والزبير بن العوام الخياط، وبلال بن رباح العبد الخادم، وسليمان الفارسي الحلاق، وعلي بن أبي طالب الذي سقى بالدلاء على تمرات...»[2].

وقد كان عمر بن الخطاب يقول: «إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: أله حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط في عيني»[3].

وقال ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[4].

ولا يجوز لنا أن نستهين بأي مهنة، أو حرفة، مهما بدت ضئيلة القيمة؛ فإنها في النهاية لها أهميتها في حركة الحياة، ولا تستقيم الحياة بدونها، لأن الإنسان هو خليفة الله تعالى في الأرض، ولابد من النهوض بالرجل والمرأة معاً، فالنساء شقائق الرجال وولا يجوز تعطيل دور المرأة أو تهميشه؛ لأن في ذلك تعطيلاً أو تهميشاً لنصف المجتمع وعليه تترتب العديد من السلبيات.

المرآة الحقيقية التي تعكس لنا علاقة الرجل بالمرأة هي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، هذه العلاقة ترتكز على عدد من القواعد حواها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: ١).

يقول ابن رشد: «إن معيشتنا الاجتماعية الحاضرة لا تدعنا ننظر ما في النساء من القوى الكامنة، فهي عندنا كأنها لم تُخلق إلا للولادة، وإرضاع

(١) ينظر سيرة ابن هشام(١/٠٨٣).
(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص/ ٦١ــ ٨١
(٣) انظر المناوي: هامش «فيض القدير» ٢ /٠٩٢.
(٤) رواه عن البخاري المقداد بن معد يكرب رقم ٦٦٩١.

الأطفال، ولذلك تُفني هذه العبودية كل ما فيها من القوة على الأعمال العظيمة. وهذا هو السبب في عدم وجود نساء رفيعات الشأن عندنا. فضلاً عن ذلك فإن حياتهن أشبه بحياة النبات الضروري». لذلك كان الفقر عظيماً في مدننا لأن دور النساء فيها مضاعف لعدد الرجال وهن عاجزات عن كسب رزقهن الضروري»[1].

لقد وصل ابن رشد إلى قناعة تامة أن المرأة تتمتع بقدر هائل من القدرات، وإذا تم توظيف هذه القدرات بصورة صحيحة تمكنت المرأة من تغيِّر الكثير، لأن دور العبودية الذي يمارس ضدها يلتهم كل طاقاتها الإبداعية، وبالتالي تُهدر طاقات المجتمع، لذا عد ابن رشد أن تخلفها تخلفاً اجتماعياً.

واليوم يؤدي الاقتصاد دوراً حاسماً في تسيير دولاب الحياة اليومي، وبناء المجتمعات الحديثة؛ لكن لا تشكل المرأة في معظم الدول العربية حضوراً فعالاً فيما يخص بناء المجتمعات، بل هنالك حواجز كثيرة بل قضبان وحواجز من الحرمان والمنع، والتحريم، اتحدت لتقلل من شأن المرأة.

وعند الحديث عن عمل المرأة، يحدو بنا الأمل نحو المساهمة المنظورة للمرأة في المجتمع؛ لأن النهوض بالمجتمع ككل لا يمكن أن يتم على أرض الواقع ما لم تُدْلِ المرأة بدلوها مع الدلاء في عملية التنمية.

(١) كتاب ابن رشد وفلسفته مع نصوص المناظرة من المناظرة بين محمد عبده وفرح أنطون ص ٤٢١.

المحور الثاني

دور المرأة عبر التاريخ

سِجلُّ المرأة عبر التاريخ حافل بالعطاء والتضحيات؛ فقد أدت المرأة دوراً بارزاً ومهماً في تاريخ البشرية، فكل زاوية من زوايا التاريخ تشهد للمرأة بالكفاح الطويل والمرير، لم تترك جانباً من جوانب الحياة إلا وقد تركت بصماتها واضحة فيها.

ونصرت المرأة الدعوة الإلهية؛ وكانت بجانب شريعة السماء في كل الشرائع السماوية التي أنزلها الله تعالى على من اصطفى واختار من عباده؛ ليخلص البشرية من ترهات العقل، وينقلها إلى بر الأمان. إذاً كانت مسيرة المرأة في حياة الأنبياء والمرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام أجمعين حافلة بالعطاء، فهذه السيدة سارة تلازم خليل الرحمن، عليه السلام، تسانده وتشد من أزره، فقد شدت الرحال معه من بلاد الرافدين إلى بلاد الشام، ثم أرض الكنانة حتى استقر بهما الحال مرة أخرى ببلاد الشام، وقبل أن أطوي سجل السيرة العطرة لخليل الرحمن إبراهيم، عليه السلام، لابد من الوقوف عند الدور العظيم والتضحيات الجسام التي قدمتها هاجر أم إسماعيل عليهما السلام، وكيف أنها تمكنت من كتابة صفحات ناصعة في تاريخ البشرية.

إذاً فالمرأة من منظور جميع الشرائع السماوية هي حاضنة جميع الأنبياء، على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ــ، والمكلّفة بحفظهم، والعناية بهم، والوقوف إلى جنبهم، كذلك فقد لعبت المرأة دوراً محورياً في حياة موسى، عليه السلام، إذ امتثلت أم موسى للأمر الإلهي وتوجيه السماء لتلقي بابنها في البحر

حفظاً من ظلم فرعون، وكانت المعجزة الإلهية بردّه إليها سالماً؛ليبدأ فصل آخر في حياة نبي الله موسى عليه السلام لأن الله تعالى أراد أن تكون نهاية الظلم على يدي هذا الطفل المنقذ، ولم يتناول القرآن الكريم دور أم موسى على أساس ثانوي أو هامشي ويكفيها شرفاً أنها المرأة الوحيدة التي أوحي إليه قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (القصص: ٧).

ولم ينس القرآن الكريم، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، موقف آسيا زوج فرعون التي داست كل أسباب الجبروت وتحدت الظلم ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (التحريم: ١١).

كذلك ضربت مريم أم عيسى، عليهما السلام، أروع الأمثلة قال تعالى ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (التحريم: ١٢).

أما دور المرأة في حياة المصطفى ﷺ، فقد كان أكبر حجماً؛ لأنها جندت نفسها لخدمة الإسلام، والذب عن محارمه، وشاركت في كل مرحلة من مراحل الدعوة وشاركت الرجل المسلم في هجرته وفي جهاده، لذا نجدها قد استحقت الإشادة والمقام الكريم، وكانت المخاطبة مع الرجل في كل الحالات التشريعية، قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (التوبة: ٧١).

إذاً لم تكن المرأة بمعزل عما يدور من حولها، وتجلت مساهمتها من خلال القيام بواجباتها التي فرضها الله تعالى عليها على أكمل وجه، كما شاركت في الأعمال الطوعية، ولم تكن هذه المشاركات مقصورة على مجال محدد، بل

أدلت بدلوها مع الدلاء في كل مجال تحسنه ويحتاجه مجتمعها، لا سيما تلك الأعمال ذات الطابع الإنساني التي تنسجم مع قدراتها وطبيعتها.

وتاريخ الدعوة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، حافل ومملوء بإنجازات المرأة، فتارة نراها تداوي الجرحى وتسعف المرضى (رفيدة الأسلمية) التي كان لها خيمة لمداواة الجرحى، وتارة أخرى نراها تقوم بنقل الماء لسقاية الجند (الربيّع بنت معوذ التي تطوعت بسقاية الجيش بل طبخت لهم الطعام، وشاركتها في هذا الفضل «حمنة بنت جحش». كذلك أسهمت المرأة مساهمة فعالة في ميدان الحرب وذبت عن محارم الله تعالى بسيفها. الأسماء التي لمعت في هذا المجال الرميصاء بنت ملحان، كما شاركت أم سليم أم أنس بن مالك في حراسة الأمتعة، كما امتدت أعمالها إلى مساعدة فقراء المسلمين وغسل موتاهم، ونظافة المسجد، وامتدت هذه المساهمات لتشمل تجهيز وتزيين العرائس لأزواجهن[1]، وصدق رسول الله حين قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[2].

كما رفع الله تعالى من قدر المرأة: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الحديد : ١٢). في هذه الآية الكريمة رفع القرآن الكريم المرأة إلى أكرم مقام يمكن أن يصل إليه إنسان في الدنيا والآخرة، وهو يتعامل معها كما يتعامل مع صنوها الرّجل على حدٍّ سواء، فهي والرّجل في مفهوم الرسالة الإسلامية (أولياء) يوالي بعضهم بعضاً، ولاءً عقديّاً، يقومون بإصلاح المجتمع، ومحاربة الفساد والجريمة والانحطاط، ويحملون رسالة الخير والسلام والإعمار في الأرض .

(١) ينظر صحيح البخاري «باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال» و« باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو» و« باب مداواة النساء الجرحى في الغزو» و« باب رد النساء الجرحى والقتلى».

(٢) رواه من حديث علي ﷺ: البخاري (٣٦٨٥) ومسلم (٧٤٦٢).

المحور الثالث

أبرز معوقات عمل المرأة المسلمة

معوقات العمل النسائي

- **العادات والتقاليد** فقد ورثت معظم المجتمعات المسلمة عادات وتقاليد تنظر للمرأة نظرة دونية، أو أقل شأناً من الرجال من الناحية الإنسانية، وتستهين بشخصيتها وكفاءاتها وعواطفها، وتضافرت كل هذه العوامل، وعملت على عزل المرأة بعيداً عن كل أسباب الحياة المدنية، ناهيك عن الحياة المتطورة وما يحز في النفس أن دعاة هذه الفلسفة ينسبونها للدين الحنيف، والدين منها براء.
- **تفشي الأمية** بنسبة عالية بين النساء ويشكل تدني الوعي لدى المرأة من أبرز الأسباب لمعاناتها. فانشغالها بإدارة المنزل وتربية الأبناء والاهتمام بالزوج أبعدها عن الاهتمام بجوانب الحياة الثقافية وبلوغ الوعي الذي يؤهلها لفهم حقوقها والظلم الواقع عليها. فكثيراً ما أدّى العيش بين جدران المنزل لفترات طويلة إلى شيء من البلادة لدى بعض النساء؛ حيث يغرقن في عالم صغير جداً لا يتعدّى الحديث عن صغائر الأمور.
- **إحجام المرأة عن العمل الطوعي** في المجال العام. وكبت إرادتها، وتغييب دورها الاجتماعي والإنساني إلى جانب الرّجل. وهو الاتجاه المتوارث من التقاليد والأعراف الناشئة عن الجهل بالإسلام. وفي أحيان كثيرة أرى أن المرأة هي التي تعوق نفسها، فهي مسؤولة عن مستقبلها واختراقها

مجالات العمل، وقد تكون المرأة العربية اليوم من أكثر فئات المجتمع تخلفاً وتقوقعاً، خاصة النساء اللواتي ارتضين بفكرة القمع الرجولي لهن، وفكرة العمل ضمن دائرة البيت والأولاد، والعلاقة الزوجية.

- **الخبرة والتدريب**

عجز عدد كبير من النساء من مسايرة روح العصر، ومواكبة عجلة التطور والتقدم والتنمية الحديثة، ودخول عصر التقنيات، أو التطور التكنولوجي؛ لذا وقفت كل هذه التحديات في وجه المرأة، وأصبح لزاماً عليها أن تحث الخطى حتى تلحق بركب التطور والحداثة مثلها مثل الرجل.

عدم توفر المال اللازم للبرامج التدريبية والتأهيلية والتوعوية التي تحتاج إليها المرأة.

- **استعلاء الرّجل**، وتسلطه أو تخلّفه الفكري، لذا يرى أن المرأة عنصر هامشي في بناء المجتمع؛ وعليه من المفترض أن لا يلتفت إلى رأيها، وإن وجد فهو غير جدير بالاهتمام؛ لأنها في الأصل من المفترض أن تكون تابعة لا متبوعة، أي تابعة لأي صنف من أصناف الذكور أياً كان الأب، الزوج، الأخ، الابن.

المحور الرابع

آليات تفعيل دور المرأة المسلمة في إصلاح المجتمع

بنزول الوحي الأمين على المصطفى ﷺ شمر كل أفراد المجتمع، الذين شرح الله تعالى صدورهم للإسلام، عن ساعد الجد لنشر الدين الحنيف ونصرة نبيه الكريم؛ لذا جندوا أنفسهم وسخروا أموالهم، بل جادوا بالدر النفيس من أجل ترسيخ كل التعاليم السامية التي نادى بها الرسول الكريم ﷺ وبتأمل القرآن وتدبر آياته نجد أن من كبريات السور سورة النساء (١٧٦آية) تتحدّث عن شؤون المرأة، والضوابط التي نظّمت العلاقة بين الرّجل والمرأة، وحدّدت مكانتها ودورها في المجتمع الإسلامي كما أشار المولى ﷻ إلى التكافؤ في الحقوق والواجبات: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٢٨) إذاً لابد من تفعيل دور المرأة المسلمة، حتى تسهم في بناء أسرتها ومن ثم المجتمع، وذلك من خلال قيامها بواجباتها على أكمل وجه كما ينبغي ويجب، وعليه يمكن تفعيل دور المرأة من خلال القنوات الآتية:

١ - تفعيل الدور الحيوي للمرأة داخل أسرتها

المرأة هي العمود الفقري للأسرة، وكما قيل: وراء كل عظيم امرأة تربى في حجرها. إذاً من أهم المداخل التي لابد من تفعيلها، هو الوعي التام للمرأة حتى تقوم بدورها داخل البيت كزوجة وأم؛ فرسالة المرأة الرئيسية تعني الأمومة بكل ما تحمله من أهداف سامية وقيم رفيعة، وهي أوسع من مجرد الإنجاب، بل التربية التي تعد الفرد الصالح. وعليه تكون المرأة هي الأقدر

على حماية تماسك الأسرة، وبالتالي على صيانة النظام الاجتماعي. فالمرأة أثبتت عبر التاريخ فاعليتها في إعادة بناء المجتمع من الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

ومن هذا المنطلق تبدأ كل الإيجابيات أو السلبيات، إذ إن بعض النساء يجهلن حقيقة القيام بهذا الدور الحيوي العظيم، ظناً منهن أنه من الأعمال الصغيرة بل الوضيعة، ولكن في حقيقة الأمر هذه المهمة تحتاج إلى ما تحتاجه الدولة من التخصصات التي تقوم على أساس العلم، والفكر، والدقة، لإدارة البيت وتصريف شؤونه المالية وتدبير اقتصاده فضلاً عن ذلك كله تحتاج هذه المهمة إلى الإيمان بالمبدأ والإحساس بالمسؤولية والدقة فضلاً عن الشفافية. إن المرأة التي تنظر لعمل البيت نظرة استصغار أكبر دليل على أنها لم تفهمه حق الفهم، ومن ثم لن تقوم به، ومن يرى أن المرأة إذا تفرغت لشؤون الزوج والأولاد تصبح عديمة الجدوى أو الفائدة أو معطلة في بيتها' فقد تفسر هذه النظرة السلبية إلى هذا الدور العظيم الذي تقوم به المرأة إلى قصور في العقول أدى إلى عدم الفهم الصحيح أو إلى مرض أصاب القلوب حجب عنها رؤية الحق.

فالطفل يولد بالفطرة، وعلى عاتق الأم أو الأسرة تقع مهمة تشكيل هذه العجينة الطيعة، فالمرأة أو بالأحرى الأم وهي تؤدي دورها الحيوي في الحياة «الأمومة» عليها أن توظف هذه المشاعر التي حباها الله تعالى في إعداد جيل واعد وذلك بتربيته تربية صحيحة تتوافق مع التعاليم الإسلامية. وهكذا تحقق المرأة قضية الاستخلاف في الأرض. وهي في ذلك تنطلق من وعيها لدورها كإنسان مسلم مستخلف في هذه الأرض، على أطفالها، وعلى بيتها، وعلى مجتمعها، وعلى أمور دينها.

كذلك من أهم الأمور التي لابد أن يفعل فيها دور المرأة داخل الأسرة كل ما يهم شأن الأسرة من الناحية الاقتصادية، إذ لابد من رفع الوعي من ناحية ترشيد الاستهلاك ومحاربة عادة البذخ التفاخري.

ويجب أن لا يغيب عن البال أن المرأة تتمتع بعدد من المزايا، لا نستطيع أن نحصيها، تجعلها الأقدر على مجابهة أي تحدٍّ فهي الأقدر على تلمس الاحتياجات الاجتماعية للطفل والأسرة، وهي الأقدر على عكس الواقع.

العمل الطوعي

ويشمل العمل الطوعي كل الأعمال ذات الطابع الإنساني، والتي تتناسب مع طبيعة المرأة الأنثوية، كالتدريب على الإسعافات الأولية، والعمل في الهلال الأحمر. وفي هذا الإطار يمكن استنفار كل الشرائح العمرية بالنسبة للنساء حتى لو كنّ من ذوي الاحتياجات الخاصة، وهذا الجانب لا يتنافى مع التعاليم الإسلامية إذ تقف خيمة رفيدة الأسلمية شاهداً ودليلاً على ذلك، ولم يستنكر الرسول ﷺ عملها بل أمر أصحابه الكرام عندما أصيب سعد بن معاذ ﷺ بسهم في معركة الخندق أن يجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد قائلاً: «حتى أعوده»، وتقديراً من النبي ﷺ لجهودها في غزوة خيبر في مداواة الجرحى وخدمة المسلمين فقد ساهم لها بسهم رجل مقاتل.

وفي واقعنا المؤلم الذي يعاني اليوم من ويلات الحروب والصراعات تستطيع المرأة أن تؤدي دوراً كبيراً وفعالاً لما تتمتع به من الصبر والشفقة، فتستطيع المرأة أن تخفف من معاناة الأطفال والأرامل من بنات جنسها، والسجينات، كذلك ما أحوج دور رعاية الأيتام إلى قدراتها وخبراتها ومهاراتها أماً ومربية للأجيال في المقام الأول؛ وذلك بجمع التبرعات العينية والمادية

التي تقلل من حدة الفقر بين هذه الشريحة الضعيفة والعجزة، فضلاً عن التوجيه والإرشاد وشحذ الهمم، ولا يفوتنا أن العديد من هذه الشرائح قد تكون في أمس الحاجة إلى الدعم المعنوي والدعم المادي في آن واحد.

٢ - الأسواق الخيرية

الأسواق الخيرية تمتص جانباً كبيراً من مساهمات المرأة المسلمة؛ إذ يقوم المجتمع الإسلامي على مبدأ التكافل والتعاضد بين أفراده، وشحذ همم النساء ليتسابقن في هذا المجال، ولهن في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً والصحابيات الجليلات الأسوة الصالحة، ويمكن أن يستغل ريع هذه الأسواق في توفير المال اللازم لعدد من الشرائح المحتاجة وما أكثر هذه الشرائح في ديار الإسلام.

٣ - المنتديات الثقافية والأدبية

كم من كلمة غيرت وجه البسيطة، وأسهمت في إزاحة العديد من المخاطر، فلابد من تفعيل دور المرأة في هذا الجانب وذلك بالتنسيق مع المؤسسات الثقافية والأدبية، وعقد الدورات والمحاضرات المختلفة حتى يتم تبصير المرأة بأمور دينها، وحتى تتمكن من الإسهام في كل الأعمال الخيرية، وفي الجانب لابد من القدوة الحسنة وذلك بالإشارة إلى سيرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وما قمن به من جهد في مجال تعليم المرأة لشؤون دينها، بل حتى كبار الصحابة كما كانت تفعل أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها.

٤ - تفعيل المرأة المسلمة في مجال تمويل المشروعات

كانت المرأة في موقع الصدارة في كل المجالات التي خدمت الدعوة الإسلامية، من هذه المجالات تمويل المشروعات؛ التي تعود بالنفع والفائدة على

أمة المصطفى ﷺ أي تمويل المشروعات والأنشطة التي تخدم المجتمع المسلم. ودور المرأة في العمل الاجتماعي ينطلق من عاطفتها الجياشة وشفافيتها؛ لذلك كانت أقدر على الإحساس بمعاناة الأرامل والفقراء والمساكين والأيتام، لذا يمكن تفعيل دور المرأة في هذا الجانب من خلال القنوات التالية:

أ- الزكاة:

المرأة مخاطبة بهذه العبادة مثلها مثل الرجل إذا كانت مالكة للنصاب وقد كانت الصحابيات يسرعن في أداء هذه الفريضة، وقد تفردت عن الرجل بزكاة الحلي، كما يجوز للمرأة المسلمة أن تعطي زكاة أموالها زوجها الذي تفرغ لطلب العلم، كما فعلت زينب زوجة عبد الله بن مسعود بعد سؤالها رسول الله ﷺ عن جواز ذلك فقال ﷺ: نعم ولها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة».

ب- الوقف:

أدّى الوقف الخيري دوراً بارزاً ومهماً في المجتمعات الإسلامية؛ لأن ريعه قد وظف لبناء وإقامة المؤسسات ذات النفع العام كالمدارس والجامعات، ومراكز البحوث، والمستشفيات، ودور الأيتام، ودور العجزة، أو دور الرفق بالحيوان، فضلاً عن المؤسسات الدينية كالمساجد وما يتعلق بها، وهو مرآة صادقة تؤكد إحساس الفرد المسلم تجاه مجتمعه.

ولم تغفل المرأة المسلمة عن دورها في هذا الجانب، فقد كانت أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أول من تولى أمر الإشراف على الوقف في تاريخ الإسلام؛ إذ ولاها عمر، ﷺ، هذه المهمة بعد وفاته كتب وصيته بقوله: «هذا ما أوصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين إن حَدَثَ به حَدث الموت، أن ثمغاً، وصرمة ابن الأكوع (بستانان من بساتين عمر) والعبد الذي فيه، والمائة

سهم الذي بخيبر ورَقِيقهُ الذي فيه، والمائة (أي سهم) التي أطعمه محمد ﷺ بالوادي، تليه حفصة ما عاشت، ثم تُوليهِ ذا الرأي من أهلها أن لا يباع ولا يشترى ينفقه حيث يرى، من السائل والمحروم وذي القربى، ولا حرج عليه، إن أكل أو آكل (أي أشرك معه آخرين في الأكل) واشترى رقيقاً منه«.

ومن أهم مميزات الوقف أنه يتيح الفرصة لاستمرارية التمويل مما يترتب عليه ديمومة النفع.

ج - الصدقات:

هنا فتح الإسلام الباب على مصراعيه ليلج تحت مظلة الصدقة كل من أراد خدمة المجتمع، في أي مجال من المجالات كبناء دور العلم والعبادة، ودور رعاية الأيتام؛ كذلك يمكن أن تسخر الصدقات في كفالة طلاب العلم والأيتام، وإطعام الفقراء، وللنساء أسوة حسنة في أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها التي كانت تتصدق من عمل يديها، فقد كانت مأوى للفقراء والمساكين ولم تترك درهماً ولا ديناراً؛ لأنها كانت تتصدق بكل ما قدرت عليه، وصدق الرسول ﷺ عندما وصفها بطول اليد.

وقد روى البخاري أن السيدة عائشة قالت: دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي غير تمرة فأعطيتها لها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت والصور المشرفة في هذا الجانب أكثر من أن تعد أو تحصى.

وهكذا نجد أن الشريعة الإسلامية قد هيأت للمرأة المسلمة كل الأسباب للمشاركة في بناء المجتمع المسلم الصحيح المعافى كما كشفت لها النقاب عن كل أعمال الخير والبر التي تعود بالنفع والفائدة على المجتمع المسلم .

ومن أهم المؤشرات أن فريضة الزكاة والصدقة وأعمال الوقف؛ قد أتاحت للمرأة المسلمة الفرصة في وقت مبكر جداً للعمل من أجل خدمة المجتمع تحت ظل المنهج الرباني والسنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم من خلال التأسي بالسيرة النبوية.

التوصيات والمقترحات

١- محاولة خلق نوع من التوأمة بين القنوات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني عند التخطيط لخارطة السياسة العامة للمرأة، كذلك عند تطبيق أو تنفيذ برامج عن تعزيز دور المرأة في العمل المجتمعي عبر تبني أنشطة في التثقيف المدني بحقوق المرأة السياسية.

٢- الاهتمام بالمرأة الريفية من خلال تبني برنامج القيادات الريفية الذي أسهم في بناء قيادات محلية ريفية لكسر الحواجز المفروضة على المرأة الريفية، حتى تسهم بطريقة فعالة في العملية التنموية، والاقتصادية، وذلك من خلال تدريب المرأة وتأهيلها لاكتساب بعض الحرف البسيطة والمهارات، وتمليكها بعض وسائل الإنتاج أو رأس المال، حتى تتمكن من إقامة بعض المشروعات الصغيرة؛ لكي تسهم في زيادة دخل الأسرة أي التوسع في تقديم خدمات برنامج تنمية المجتمع والأسر المنتجة للنهوض بالأسرة في الريف والحضر.

التوسع في تقديم خدمات برنامج تنمية المجتمع والأسر المنتجة للنهوض بالأسرة في الريف والحضر التوسع في تقديم خدمات برنامج تنمية المجتمع والأسر المنتجة للنهوض بالأسرة في الريف والحضر، ومن ثم تتمكن المرأة من محاربة الفقر والجهل.

٣- الاهتمام بالجانب الاجتماعي وكشف النقاب عن الظواهر الاجتماعية الضارة, مثل (الزواج المبكر وآثاره في صحة المرأة والعنف الأسري، ومحاربة الإنفاق البذخي؛ فالإسراف والتبذير في الاستهلاك يعد سوء

استخدام للموارد الاقتصادية، بل هدراً لموارد الأمة، وهو من الأعمال التي يرفضها الإسلام، بل ذمها، حيث وصف الله المسرفين والمبذرين في القرآن الكريم بأنهم إخوان الشياطين.

٤- الاهتمام بصحة الأم والطفل، فضلاً عن الاهتمام بالصحة النفسية، لما يترتب على ذلك من عظيم الأثر في تفاعل المرأة مع أسرتها ومجتمعها، الحفاظ على الأسرة القائمة على القواعد الشرعية، والتصدي لكل الممارسات التي تستهدف أضعاف دورها. وتسهيل عملية بناء الأسرة وحمايتها، وترسيخ الأسس والتقاليد الشرعية في الزواج، وتكوين الأسرة، وفي العلاقات بين الزوجين، ونبذ كل العادات والتقاليد الموروثة والوافدة التي لا تتفق مع التعاليم السماوية.

٥- الاهتمام بشريحة الشابات؛ وذلك من خلال إقامة البرامج التي تستهدف هذه الفئة بمختلف ألوان طيفها وتباينها، حتى يتم تفجير كل الطاقات الكامنة في هذه الشريحة؛ وذلك من خلال توفير الخطط الجادة والمناخ الملائم، كذلك لابد من تشجيعهن للعمل، وتوفير الأجواء المناسبة والخطط الجادة لإتاحة الفرصة للطلاب والشباب كافة للإسهام في الأعمال التطوعية لخدمة المجتمع والبيئة، وتدريبهم على تحمل المسؤولية، ودعم جهودهم الإبداعية، وتعزيز طموحاتهم وقدراتهم في مختلف المجالات، وتجنيبهم الانشغال في معارك جانبية تبدد طاقاتهم في صراعات عصبية، وتشجيع الشباب على الانخراط في مؤسسات العمل العام، وإيجاد البيئة المناسبة لذلك. وذلك بإنشاء مراكز تدريبية وإنتاجية للفتيات بغرض تأهيلهن للمنافسة في الحصول على فرص عمل وإيجاد أنشطة ذاتية مدرة للدخل.

٦- خلق قاعدة صلبة وبيئة صالحة لبناء معرفي وتعليم نوعي جيد، ومحاولة

تدريب المرأة حتى تتمكن من مسايرة التقنيات الحديثة ومواكبة عجلة التطور في مجال العلوم والتكنولوجيا بصورة عامة، والعمل على ردم الفجوة التعليمية الواسعة بين الذكور والإناث في مراحل التعليم الأساسي والثانوي والجامعي، والعمل من أجل إعداد جيل واعٍ من النساء والفتيات ليحملن همّ الدعوة إلى الله.

٧- تعميق الهوية الثقافية والحضارية، وبناء القدرات الثقافية ورعاية الأديبات، والمثقفات وإبداعاتهن وتشجيعهن للاهتمام بالموروث الثقافي.

٨- بناء المجتمع المدني على أسس التكافل والتراحم، وإحياء وتعزيز قيم الخير والأخلاق النابعة من الإيمان بالله ﷻ، وتحقيق التكافل الاجتماعي، وتشجيع القدوة الحسنة. والاهتمام بالشرائح الضعيفة (الأرامل والأيتام والمسنين) وتعزيز قيم العزة، ورفض الظلم، وما ينشأ عنه من استبداد. والعمل على زيادة عدد دور الأيتام والمسنين وتطويرها، والتأكيد على حق الوالدين في الرعاية التامة، ولا سيما في مرحلة الشيخوخة.

٩- تطوير مؤسسات وبرامج العناية بالمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة ودعمها.

١٠-العمل على تنفيذ برنامج الأسرة المنتجة، من خلال توفير الدولة لوسائل الإنتاج للأسرة الفقيرة. تشجيع المشروعات التنموية ولا سيما في المناطق الريفية. – تعزيز قيم العزة، ورفض الظلم، وما ينشأ عنه من استبداد.

العمل على تنفيذ برنامج الأسرة المنتجة، من خلال توفير الدولة لوسائل الإنتاج للأسرة الفقيرة. تشجيع المشروعات التنموية ولا سيما في المناطق الريفية. – تعزيز قيم العزة، ورفض الظلم، وما ينشأ عنه من استبداد.

١١-تحقيق الحرية والعدالة الاجتماعية، والتضامن الاجتماعي، ومحاربة

الرذيلة، ومحاربة كل الأمراض والآفات الاجتماعية، التي تنخر في جسد المجتمع ما يتسبب في هدر الطاقات، على سبيل المثال لا الحصر المخدرات وكل أشكال الفساد، وذلك من خلال التثقيف والتربية وتفعيل التشريعات النافذة.

١٢-توفير الأجواء المناسبة والخطط الجادة؛ لإتاحة الفرصة للطلاب والشباب بعامة للإسهام في الأعمال التطوعية لخدمة المجتمع والبيئة، وتدريبهم على تحمل المسؤولية، ودعم قدراتهم الإبداعية، وتعزيز طموحاتهم وتطلعاتهم في مختلف المجالات.

١٣-توفير العمل لكل القادرين عليه، ودعم حقوق العمال والمهنيين ونقاباتهم. وتجنيبهم الانشغال في معارك جانبية تبدد طاقاتهم في صراعات عصبية، أو جانبية.

١٤-ومسك الختام: ليس للمرأة من حقوق وكرامة إلا في الإسلام، الذي ثبّت مبدأ الحقوق والكرامة لأفراد النوع البشري كافّة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء: ٧٠) وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨). فليس أمام المرأة إلاّ أن تطالب بحقّها كما شرعه الله تعالى، ويجب عليها أن تلتزم بواجبها كما حدّده القرآن لها، كأمٍ وبنت وزوجة، بل كفرد له حقّ الولاء والحبّ في المجتمع، يوظّف طاقته الفكرية والنفسية والجسدية في مواطن الخير، والطّهر والصّلاح، بعد أن جرّبت مرارة العيش في متاهات الحياة الغريزيّة المبتذلة، في عالم الحضارة الماديّة.

رغبة في خدمة الإسلام، وتأصيل البحوث العلمية النافعة والجادة في مجالات الثقافة المختلفة، ومجال الدراسات الإسلامية على وجه الخصوص.

ورغبة في الإسهام في عملية الارتقاء الفكري والنفسي لهذه الأمة، والعمل على تفعيل دورها في عملية البناء الحضاري، مع المحافظة على استقلاليتها الشخصية، وهويتها الإسلامية المتميزة.

كان إنشاء مؤسسة علمية مستقلة، غير هادفة للربح، تعمل على ترسيخ الهوية الإسلامية وركائزها الإيمانية في نفوس أبناء أمتنا لتحقق لهم الصفاء والنقاء وقوة الانتماء، من خلال حركة جادة تساعد في بعث الوعي الإسلامي، وإنجاز البحوث والدراسات وفق سليم العقيدة وقويم المنهاج.

ولتحقيق ذلك كان هذا المركز الخيري «مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية».

هاتف: ٥٧٧٦٠١٨ - ٦ - ٩٧١+ ، فاكس: ٥٧٧٦٥٥٧ - ٦ - ٩٧١+
ص.ب: ٤١١١٦ - الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
Tel: +971 - 6 – 5776018, Fax: +971 – 6 – 5776557
P.O.Box: 41116 – Sharjah – U.A.E. – webpage: www.jalawicenter.com
الدمام - حي الحمراء - الكورنيش - المملكة العربية السعودية
ص.ب: ٤٣٠٠ الرمز البريدي: ٣١٤٧١
هاتف: ٨٣٥٦٤١٦ - ٨٣٥٦٤١٢ / ٠٠٩٦٦٣
فاكس: ٨٣٥٦٤١٧ /٠٠٩٦٦٣

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٤٥٥٩
ردمك: ٠-٦-٩٠٠٥٣-٦٠٣-٩٧٨